

## الأديب أمين الريحاني 1876 - 1940م

# تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها



في عام 1927م صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن مطبعة الصادر في بيروت. منذ تلك الحقبة وحتى الراهن مازال له مكانته في قراءة تاريخ الجزيرة العربية وهي تشهد تحولات ونقلات ما كان لها ان تكون إلا بوجود عوامل في عدة مستويات اعادت ترسيم خرائط المنطقة في الناحية الاقليمية والدولية، ومما قيل عنه في جريدة أم القرى العدد 184 - السنة 4 الحجاز 29 يونيو 1928م: (وقد وفق الريحاني في هذا التاريخ لما لم يوفق له أحد غيره ممن تصدى للكتابة في تاريخ نجد. فإن السياحة التي قام بها الأستاذ في بلاد العرب مكنته من الوصول لمعلومات قيمة ما كان ان يصل إليها).

وجاء في مجلة المقتطف المجلد 72 - الجزء 6 - القاهرة في شهر يونيو 1928م: (ابن سعود، شعبه وبلاده بالانجليزية، تاريخ نجد الحديث بالعربية، وغيرهما من اعمال الريحاني اقل ما يقال فيها انها تحتاج إلى همة الجبارة .. ومع كل ذلك لم ينقطع عن الاشتراك في حياة الشرق العربي الفكرية).

## مؤلف الكتاب شارك في الكثير من أحداث تلك الحقبة مما جعله من المراجع الهامة لتاريخ الجزيرة العربية

الصناعة والتجارة والزراعة. إن أهم ما في هذا الاتجاه ونوعية التربية التي جمعت بين شراسة طبائع البدو المقاتل، كما جاء في مقدمة ابن خلدون، والمذهب المحفز على الجهاد، هنا تكمن قوة المادة الحربية التي اقام عليها عبدالعزيز آل سعود جيشه الوهابي. هذا يدل على مقدرة ودهاء سياسي في تحويل مسار الفعل الضار إلى اتجاه يخدم الهدف العام. الإصلاحية إلى مقدرة فكرية - سياسية تقود المجتمع من وهو ما عزز مد نفوذ الدولة، تخرج من مرحلة الحركة الإصلاحية إلى قيادة فكرية - سياسية تقود المجتمع من زمن التشردم إلى الحياة العصرية. وهنا تسقط حسابات الخبائث مهما بلغت في حقل الصدام، لأن توازنات المعارك دائماً ما تطرح الفائدة عند درجة الهدف. ومن خلال سرد الكاتب لوقائع الاحداث فإن عبدالعزيز آل سعود، قد أدرك أهمية هذا التوازن عند وضع خطة الانتقال من فترة فاصلة إلى أخرى.

أما قضايا الحروب مع القبائل والصراع حول النفوذ، لكن هناك أيضاً ما كان يجري في المحيط الإقليمي في العراق وفارس وفلسطين وغيرها من مناطق التواجد البريطاني. وفي هذا الأمر دارت أمور كثيرة دونت في مصادر مختلفة. ومما يذكره الريحاني في هذا الشأن: (عندما علم ابن سعود بوفاة الشيخ مبارك، وتولى ابنه جابر الحكم في الكويت، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب إلى الشيخ جابر يعزیه عن ابيه، ويصح له ألا ينجح على منواله في السياسة. وبينما هو هناك اي في الطريق إلى الكويت، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج فارس، السر برسي كوكس، يرجوه ان يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة.

فتوجه عبدالعزيز إلى تلك الناحية واجتمع بالسر برسي في جزيرة دارين هناك.

وكان هم بريطانيا يومذاك ان يخرج الترك من العراق وسوريا بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الاحمر. فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق عديدة، منها مخالفة امراء العرب على العدو وإمدادهم بالمال والسلاح.

سأل السر برسي كوكس ابن سعود عما يستطيع ان يؤديه من المساعدة للإحلاف، فأجابته: إنني اساعدكم بأمرين. اعاهدكم أولاً أن لا يجيئهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب، واعاهدكم ثانياً أن لا انضم إلى حلف عربي ضدهم. وإني أؤكد لكم أن العرب لا يجتمعون عليكم إذا لم أكن معهم. إنني أحب ان يجتمع امرنا على مساعدة الاحلاف - نعم وسأكتب إلى الشريف حسين بهذا الخصوص إذا احببتم.

ولكن ذلك الأمر لم يتم كما سنرى فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبيًا).

ليس من السهل في هذا الطرح الموجز، قراءة كل ما جاء به هذا السفر. فكل حدث يذهب بك إلى حوادث وكل تراجع لمرحلة تنذر بصعود ما يتجاوزها.

من هنا يعد كتاب أمين الريحاني، من المؤلفات الهامة في معرفة الكيفية التي تغيرت فيها قضايا ومسائل في الجزيرة العربية، لها من آثارها ما يعاد في طرح ومناقشة ازمتات واستحقاقات هناك من يرى فيها من موضوعية الحسم لم تصل إلى الحتمية. ولأن رجل تلك الفترة لعبت مفارقات الاهداف والأغراض دورها في صياغة منزلته في أن يصبح هو المحور لأول مع تراجع مراكز أخرى عن القيام بدورها التاريخي وإن أحقية الصراع لا ترسمه حدود وقفت عندها مسافة من قياسات المواجهة.

تظل القراءة وإعادتها في تاريخ هذا الرجل عبدالعزيز آل سعود مسألة في بالغ الأهمية لمن يريد معرفة كيف تكون صناعة الدول من بقايا أحداث.

فلم تكن جغرافية الارتباط الاول، هي الإقامة الدائمة طالما طموح المجد ترمد على رمال العزلة والابعاد المتزامية في المسافات.

من البداية إلى المملكة مسافات مهما طالت لن تختصر سيرة صاحب هذا الإنجاز لأن هناك مسافات كان يحلم بالوصول إليها، لكنها لم تدرکه سرعة التسابق نحو تلك المساحات حيث تظل الرغبة فيها قائمة حتى اليوم.

فهل ما زال ظل هذه الشخصية يطوف على حدود تلك الابعاد التي كانت عن رغبات الوصول إليها؟

هذا التساؤل نجد الرد عليه عند السرعة والزمن ونحن نقرأ هذا الكتاب.

سنبدأ مجيبين على هذه الاسئلة بكلمة على البدو فنتطرق إلى الهجر وأهلها. البدو منذ القدم غزاة عصاة عتاة ولهم غريزة دينية غتها الخرافات ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات، فهم يسارعون إلى القتال في سبيل الله كلما نفر النافر وضاق بهم العيش.

ولكنهم في طاعتهم واخلاصهم وفي جهادهم وولائهم لا يحتملون فوق طاقتهم وقلمًا يفادون بشيء من اشيائهم، يجربون ويشردون ويخونون، وهم ان غالوا في دينهم لا يثبتون بل انهم في الردة سريعون.

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردجاً من الزمن فيغسلونه مرة أو مرتين ثم يلبسونه مقلوباً ثم يبنذونه، وقد تمزق، نبذ النواة - كيف نتوضأ ونحن نبيغي الماء للشرب ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان؟ ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا؟ وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الأمير أو ذلك فما الفرق وربك بين ابن مقرن وابن هاشم أو بين الصباح أو ابن الرشيد؟ هم كلهم عرب، يقيمون في بلاد العرب، ويغزون غزو العرب ونحن إن حاربنا مع هذا أو ذاك عرب.

وقد حل عبدالعزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه إليها احد من ملوك العرب قديماً أو حديثاً فهو من هذا القبيل المصلح الأكبر في العرب.

لقد استخدم اسلوب التوطيب لهؤلاء البدو، وهو هنا نقلهم من حالة التمرد في الإقامة إلى السكن الدائم في

### نجمي عبدالمجيد

في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود في طرح الأسس التي عمل من خلالها على تدعيم أركان هذا الحكم في فترات تكونت في سماء الشرق سحب عديدة من الصراع ومع بدايات الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918م.. وما كان من توسع في النفوذ البريطاني في المنطقة وفي عدن والخليج العربي.

وفي هذا الكتاب عدة حسابات نقف أمام البعض منها كي ندرك كيف نظر الريحاني إلى ما هو جار من حوله، ومستوى المسافة الفاصلة بين عبدالعزيز آل سعود كرجل يرسم لمشروع هو من صلب فترة لم تعد فيها خرائط الشرق تنقف عند تلك الدرجة من معالم الماضي.

ولكنها تمر بمنعطفات حاسمة تحمل معها اسباب سقوط لما هو ظل قائما لمراحل هي اليوم من إرث السابق وطرح فرضيات جديدة هي من معالم حقبة تبسط هيمنتها على رمال تحتها قوة النفط المحرك لاقتصاد العالم وهنا لا تكون صناعة المستقبل مجرد نقلة من سلطان إلى سلطان ولكنها مثل هزات الأرض العاصفة التي فرضت جغرافيا سياسية مازالت حتى اليوم فاعلة في المشهد السياسي والقوة الدافعة في مسارات القرار أكثر من مقترق.

من خرائط النفس البشرية والكيفية التي تعامل بها ابن سعود مع بدو الصحراء بكل حكمة ودهاء رجل الفعل السياسي ودرجة القدرة في خلق تربية روحية - سياسية في قيادة الأمور يذكر لنا أمين الريحاني هذه المواقف الخارجية من صناعة الأحداث: (قد شاهدتُ للمرة الأولى، في وقعة تربية، روحاً جديدة في القتال روحاً نعدية دينية مجسمة في الاخوان روحاً قهارة هي بنت الهول والاستشهاد قلما تغلب أو ترد. وفي كلمة كتبها الأمير عبدالله إلى ابن سعود سر هذه القوة قال الأمير: فاردت الذين أمرتهم ببيع

## ما يطرحة علينا الكاتب مسائل القيادة السياسية والعسكرية وكيفية

## إدارة الصراع في مجتمع ينتقل من حقبة التمزق إلى التوحيد



مواشيهم وبنيت لهم الدور.

هي أول اشارة في هذا التاريخ إلى الهَجْر والهجر مهد الاخوان والاخوان جيش ابن سعود الديني القومي جيش التوحيد.

وما هي الهجر وكيف أسست وما الذي دعا لتأسيسها ومن هم البدو ومن هم الاخوان؟

لقد ترجم هذا السفر الخالد إلى عدة لغات في العالم ودخل في اطار سرديات المعرفة الاجتماعية والسياسية والجغرافية والكيفية التي تتشكل فيها محاور التغيير وتلك خصائص ليس من السهل ادراكها في صحراء العرب التي كانت فيها الرمال تعلو على حقائق الأمور.

في هذا الاتجاه وحين نعيد قراءة تحركات جمعت بما بين قوة الشخصية وعزيمة السلاح والنظر لابعاد المسائل ندرك ان قضية قيام دولة من عمق غبار المعارك لم يكن مجرد طموح ذاتي بل هو منعطف لم يكن له من حسابات عند مراكز متصارعة في الشرق في تلك الحقبة التي كان المشروع الغربي - البريطاني قد أعد الخرائط مغايرة لما ظل منها في حالة سكون لقرون من الدهر.

في بداية الكتاب يقدم الريحاني هذا التعريف: (عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود. خرج من الكويت غازيا مع اثنتين واربعين رجلا من رجاله في شتاء 1318هـ - 1901م.

وبويع له في السنة التالية في الرياض على ان يكون امام الوهابية وأمير نجد.

وفي صيف 1339هـ - 1921م عقد مؤتمر في الرياض حضره علماء نجد ورؤساء القبائل فنودي بالأمير عبدالعزيز سلطانا على نجد وملحقاته.

وفي 25 جمادى الثانية 1344هـ - 5 يناير 1926م بويع في مكة ملكاً على الحجاز.

وفي 25 رجب 1345هـ - 19 يناير 1927م نادى به أهل نجد في اجتماع عقد في الرياض ملكاً على نجد وملحقاته واصبح فيما بعد ملكا على المملكة العربية السعودية التي ظهر اسمها سنة 1350هـ - 1932م).

أول فصول الكتاب يستعرض فيه أمين الريحاني جغرافية نجد وهي أرض الانطلاق لمشروع عبدالعزيز آل سعود وهي الانتماء التاريخي لهذه الأسرة.

وهذا الاختيار في افتتاحية المؤلف يدل على بعد الرؤية في الربط بين الجغرافيا وتكوين الفكر الصانع للقرار.

لأن للموقع وتكوين النواحي وامتداد الآفاق في جزيرة العرب منزلة هامة في تقوية الإرادة وتقويم القضايا وهي من الصفات التي لعبت أدوارها في صياغة شخصية الملك عبدالعزيز آل سعود.

في تلك الحقبة لم تكن المناطق المتزامية الأطراف بين الرمال والسهول والجبال والقرى والمناطق الحضرية تتساعد على صناعة الموقف الموحد وهي في وضعية الاقتراق بل هناك أعراف القبائل والأسر وعادات وتقاليد ما كان لها ان تزول إلا بمن له من قوة التحدي لمثل هذا الواقع.

وفي الفصل الثاني: يقف الكاتب أمام قضية هامة وهي من ركائز قيام الدولة السعودية وان كان في هذا الأمر يعود إلى سرديات التاريخ العقائدي هي شخصية محمد بن عبد الوهاب والوهابية 1703 - 1791م.

هنا يربط تاريخ هذا الظهور العقائدي بتاريخ أسرة آل سعود وهنا يسرد من المعلومات ما يعزز النظرة مع الحدث. عن هذه الصلة يقول الكاتب: (رحل المصلح إلى الدرعية فكانت الهجرة الثالثة وهو في الثانية والأربعين من سنه. وقد نزل هناك ضيفا على أحد تلاميذه أحمد بن سويلم فتهافت عليه الانتصار وبالغوا في اكرامه إلا ان محمد بن سعود أمير الدرعية تردد في مقابلته فألح عليه بذلك أخواه نذيان ومشاري فظل مترددا. ثم لجأ إلى زوجته وكانت من النساء العاقلات النبيهات فاخبرها بما يدعو الشيخ إليه وبما ينهي عنه فارتاحت إلى ذلك ووعدتهما خيرا وهذا ما يدل على ما للمرأة حتى داخل الحريم ووراء الحجاب من التأثير الطيب اللهم إذا كانت عاقلة وعالمة بشؤون الأمة. قالت هذه الخديجة الفاضلة لأميها ابن سعود ان هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتتم ما حصك الله به.

قبل الأمير قولها ووضع الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه فاراد ان يدعوه للمقابلة فقال اخوه مشاري: سر برجلك وأظهر تعظيمه وتقديره ليسلم من أذى الناس. فسار محمد بن سعود إلى بيت ابن سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلا: أبشر ببلد خير من بلادك بالعز والتمكين إذا عاهدتني على كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم.

وفي ذلك اليوم عقد العهد الذي اجمع بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير - بين المذهب والسيف - فتعهد محمد بن سعود بنشر دين التوحيد في البلاد العربية وتعهد ابن عبد الوهاب بأن يقيم في الدرعية معلما وان لا يخالف أميرا آخر من أمراء العرب.

ولا يزال هذا العهد مرعياً بين البيتين بيت سعود وبيت الشيخ حتى اليوم).

لم يكن هذا الالتقاء بين السياف والعقيدة مجرد تعاون مرحلي بل قوة فعل اعادت صياغة تاريخ دولة آل سعود ومكانة المذهب الوهابي في محو ما هو دخيل على الاسلام وطرح نظرة نحو الغد في مفاهيم السلطة، وهي قد توسعت